جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

حجاج الشعراء
في الحب الأول والثاني

الدكتور
عصام حمدي عطية ضيف
مدرس الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية بالمنوفية

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

حجاج الشعراء في الحب الأول والثاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل النبيين والمرسلين،

وبعد

فمن يمعن في مطالعة التراث العربي بشكل عام والأدبي منه بشكل خاص يجده مليئاً بالصور التي يضطلع من خلالها العربي إلى بيان وجهة نظره، حيث يعمد إلى الحجة واقتناص الصورة من خلال حياته التي يحياها، كما نراه تارة أخرى يجنح نحو النصوص الدينية من أجل تعضيد رؤيته الخاصة، ويبقى مرجع الحكم والترجيح في نهاية المطاف إلى القارئ الذي يفاضل بين رؤى الشعراء وحججهم في رسم الصورة التي يوادون تصويرها، وهو باب واسع على حد تعبير عبد القاهر، حيث قال: "واعلمْ أَنه ليسَ للحِجَجِ والدلائل في صحَّةِ ما نحنُ عليه حَدّ ونهاية، وكلَّما انتهى منه بابٌ انفتَحَ فيه بابٌ آخر، وقد أردتُ أن آخذَ في نوعٍ آخرَ من الحِجَاج، ومن البَسْط والشرحِ، فتأملْ ما أكْتبُه لك"(١). وعلى هذا فباب الحجاج باب واسع من أبواب الشعر، وقد عقد له العسكري باباً سماه " في الاستشهاد والاحتجاج" بدأه بقوله :" وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته" (٢) ومن جهة أخري جعل خالد بن صفوان القصد إلى

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) تحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر،٢٤٩، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،٤١٦، نشر: المكتبة العصرية بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الحجة نصف البلاغة، "قيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد إلى الحجة"(١) ومن خلال النصوص السابقة يمكن القول إن باب الحجاج باب واسع، وهو أحسن ما يطلب من أجناس الشعر، إلى جانب أنه يعد نصف البلاغة، وقد عرف الشعراء والكتاب ذلك فأكثروا من فلسفة الحجاج في أشعارهم.

ويعد أبو تمام من أشهر الذين أحسنوا فلسفة الحجج، حيث لا ننسي مقولته عن الحاسد وعلاقته بانتشار الفضائل، ثم ربطه ذلك برائحة المسك الفائح من عَرف العود، عندما قال:

وَإِذَا أراد اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ∴ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ∴ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ(٢)

ومنه يبدو كيف استطاع أبو تمام رسم صورة الفضيلة إزاء طيب العرف، وطريقة انتشارهما ولابد لهذا الأمر من سبب، وتجلي ذلك من خلال صورة الحسود في مقابل النار، فكل واحد منهما يعد سبباً في الانتشار، وقد تجلت براعة أبي تمام في الجمع بين كل تلك الأشياء، ثم صبها في صورة لا يشعر المتلقي إزاءها بوجود تفكك في الصورة، وكيف برع في تعليق انتشار الفضيلة على إرادة الله، وطيب العرف على اشتعال النار، فلولا الحجة ما خرجت اللوحة التي رسمها في شكلها الرائع التي تجعل من المتلقي يسلم بمقالته. ولا يفوتنا في هذا المقام حجة أبي تمام في مقام الخليفة عندما شبه ابنه بأجلاف العرب على حد زعم يعقوب الكندي، حيث ذكر صاحب أخبار أبي تمام قال: "حدثني محمد بن يحيى بن

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني(٣٩٠-٤٦٥هـ)،حققه، وفصله، وعلق حواشيه: الشيخ/ محمد محي الدين عبد الحميد، ٢٤٥، ط: دار الجيل بيروت.
(٢) أخبار أبي تمام،لأبي بكر محمد بن يحي الصولي، حققه علق عليه: خليل محمود عساكر وآخرون، قدم هذه الطبعة: د/ أحمد يوسف على،٧٧، ط: الهيئة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨.

أبي عباد قال: حدثني أبي قال: شهدت أبا تمامٍ ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ ∴ تَقْضِي ذِمامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تُعِينَ بِمَائِهَا ∴ وَالدَّمْعُ مِنهُ خَاذِلٌ وَمواسِي

فلما قال:

أَبْلَيتَ هذَا المَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ ∴ فِيهِ وَأَكرَمَ شِيمةٍ ونِحَاسِ

إِقْدَام عَمْروٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ∴ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

قال له الكندي، وكان حاضراً وأراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ∴ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالبَاسِ

فالله قد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ∴ مَثَلاً منَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

قال: فعجبنا من سرعته وفطنته"[1] والناظر في التجربة السابقة يجد تعانق الفطنة مع السرعة هما السبب في خروج أبي تمام من مأزقه، ثم تغليفهما بغلاف الحجة التي كانت سبباً في إخراس الوشاة، ليس هذا فحسب بل امتد أثرها لتكون سبباً في منحه جائزة من الممكن أن تكون غصة في حلق الواشي، وعلى هذا فاتكاء الشاعر على الحجة ليس من باب المصادفة، أو تأتي معه خبط عشواء، وإنما هي باب يتباري فيه الشعراء لإبراز مواهبهم الفكرية من جانب، والشعرية من جانب آخر. كما تتجلي براعة المعري في استعمال الحجة عندما تعرض للحديث عن افتخار الآباء بالأبناء متخذاً الرسول – صلي الله عليه وسلم– حجة وبرهاناً على مقالته، حيث يقول:

قالوا أبو الصقرِ من شيبانَ قلتُ لهمْ ∴ كلاَّ لعمري ولكنْ منه شيبان

(١) أخبار أبي تمام، ٢٣٠ وما بعدها.

وكم أب قد علا بابن ذُرا شرف ∴ كما علا برسول اللَّهِ عدنان[١]

وهكذا تعد الحجة سبباً رئيساً في الإقناع، ولنا أن نعد الأمثلة القائمة على الحجة من باب التشبيه التمثيلي، فكأن الشاعر جعل صورة حالته مشبهاً وصورة الحجة مشبهاً به إذ المشهد في المشبه به أعلى وأرسخ وأوضح؛ لذا اتكأ صاحب الحجة عليها فاستعانة ابن الرومي بحالة الرسول – صلي الله عليه وسلم– مع عدنان ترجع لعدم إنكار أحد فضل النبي على الدنيا بأسرها مما يجعل الأمر سبباً في افتخار قبيلة عدنان بالنبي؛ ولذا كان هذا الأمر سبب اتكاء ابن الرومي على حجة كهذه لتكون حجة في إثبات زعمه في فضل أبي الصقر على شبيان . ولا يفوتنا في هذا المقام نسيان بيتين للمتنبي وقف فيهما على قضية التذكير والتأنيث وأيهما أفضل من الآخر، حيث قال:

فَلَوْكانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هذِي ∴ لَفُضِّلَتِ النِسَاءُ على الرِّجَالِ

فما التأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْس عَيْبٌ ∴ ولاَ التذْكِيرُ فَخْرٌ لِلهلاَلِ[٢]

وقد اتكأ المتنبي على حجة عقلية واضحة لا ينكرها إلا معاند في بيانٍ يبرز من خلاله عدم المفاضلة بين الذكر والأنثى.

ومن منا ينسى رسالة سهل بن هارون التي أرسلها إلى محمد بن زياد، والتي كتبها في الاحتجاج للبخل وتفضيله[٣] حيث عمد فيها إلى الجدل والحوار، كما برع في سوق الحجج المنطقية، فضلاً عن استخدامه للأقيسة استخداماً دقيقاً

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،١٨، نشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٥.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصرى القيروانى، تحقيق : أ. د / يوسف على طويل، ٣٢١/١، الطبعة : الأولى نشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

(٣) ينظر البخلاء، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق : أحمد العوامرى بك – علي الجارم بك، ٣٣/١، دار النشر: دار الكتب العلمية لبنان / بيروت – ١٤٢٢ هـ.

من أجل الدفاع عن الشح والبخل، وإن بدا في كثير منها فلسفة خاطئة في فهم النص حسب هواه من أجل تعضيد وجهة نظره، غير أن الرسالة وأمثالها تصور نضجاً للعقل العربي الذي يعتمد على الحجج والبراهين للانتصار لرأيه، ومن ذلك أيضاً ما صنعه العديد من الأدباء في المفاضلة بين السيف والقلم، وقد اشتهر الشعراء في الاجتهاد من أجل تعضيد وجهة نظرهم. وقد تباري الشعراء واجتهدوا في اقتناص الحجج من أجل المفاضلة بين محبوباتهم، فكل واحد منهم يحاول أن ينتصف لمذهبه متخذاً الحجاج والجدل طريقاً لإقناع المتلقي بما يراه، أو ربما انطلق من تجربة خاصة دعته لما رامه في هذه القضية، بينما اتخذ بعضهم التناص المقلوب سبيلاً لمعالجة ما يراه في سر ميله لأحد محبوبتيه.

وجاء منازع الشعراء في رسم صورة الحبيب الأول والحبيب الثاني على النحو الآتي:

أولاً : شعراء فضلوا الحب الأول وانتصروا له.

ثانياً: شعراء فضلوا الحب الثاني دون الأول.

ثالثاً: شعراء ساووا بين الحبين مع عدم الانتصار لأحدهما.

وقد اجتهد كل فريق في الاستعانة بمجموعة من الحجج والبراهين في محاولة للانتصاف لمذهبه، ذاك الاعتقاد الذي من الممكن أن نجعله مذهباً لصاحبه، أو ربما أن التجربة الواقعية هي التي دعته لهذا التوجه. وقد طرح العسكري القضية في الفصل الحادي والثلاثين من الباب التاسع "في الاستشهاد والاحتجاج"[1]، كما تعرض لها الراغب الأصبهانى في باب " المفاضلة بين قديم

(١) ينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ه، حققه وضبط نصه د: مفيد قميحة،٤٧٠ وما بعدها، الطبعة الأولى، ط: دار الكتب العلمية بيروت،١٤٠١ه/١٩٨١م.

الهوى وحديثه"، وفي باب "من جعل لكل من قديم الهوى وحديثه نصيباً"[١] كما وقف ابن داود الأصبهاني على بعض من نماذج هذا الباب في زهرته وجاءت أمثلته في باب "العقل عند الهوَى أسيرٌ والشَّوق عليهما أميرٌ"[٢] وفي باب " من قَدُمَ هواه قَوي أساه"[٣] ولم يتوقف العرب عند هذا الحد بل امتد ليضع مصنفاً أسماه ديوان الصبابة واقفاً جل أشعاره على الحب والهوى، ومنها ما طال باب الحب الأول والثاني، [٤] ومن ناحية أخري لم يخل العصر الحديث من النظر في هذه القضية حيث أعاد العلامة أحمد تيمور طرحها مرة أخري من جديد من خلال كتابه الحب عند العرب، جاء ذلك بعنوان " الحبيب الأول والحبيب الآخر" [٥]

وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث مُصورة منازع الشعراء في الحب الأول والثاني، سبقهم مقدمة وضعتْ يديّ القارئ على مدلول الحجاج عند القدامى، ثم شُفعت المقدمة بعد ذلك بعدة نماذج من حجاج الشعراء، والكتاب، وختمتُ البحث بخاتمة صورتُ خلالها أهم نتائج الدراسة، ومن أي طريق استلهم الشعراء حججهم.

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصبهاني، ٣/٥٠-٥١، ط: دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) ينظر الزهرة لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري (المتوفى: ٢٩٧هـ) حققه وقدم له وعلق عليه د/ إبراهيم السامرائي،١/٥٨، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) المرجع السابق،١/ ٤٦٣.

(٤) ينظر: ديوان الصبابة، لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (المتوفى: ٧٧٦هـ)،٢وما بعدها، ط: دار الكتب المصرية.

(٥) ينظر الحب والجمال عند العرب، بقلم العلامة: أحمد تيمور باشا، ١٧ وما بعدها، ط: عيسي البابي الحلبي وشركاه،١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

المبحث الأول
أولاً: الشعراء الذين فضلوا الحب الأول

من يطالع أشعار العرب يجد مجموعة من الشعراء الذين طرحوا هذا المعنى مستخدمين في ذلك حججاً متباينة فيما بينها لكنها تتباري جميعها في تعضيد وجهة نظر كل شاعر، ومن أبرز من طرح هذا المعني أبو تمام، حيث قال الحمدوى : سمعت قال: سمعت أبا تمامٍ يقول: أنا كقولي:

نَقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ∴ ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأَوَلِ[1]

كم مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفَتَى ∴ وحَنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

وهو عندي بقول كثيرٍ أشبه، ومنه أخذه:

إذا وصَلَتْنَا خُلَّةٌ لِتُزِيلَها ∴ أَبَيْنَا وقُلْنَا: الحَاجِبِيَّةُ أوَّلُ[2]

ويعد بيتا أبي تمام من أشهر ما قيل في تفضيل الحب الأول على الثاني، ولكن قبل الخوض في الحديث عن بيتي أبى تمام حرى بنا الوقوف مع المقطوعة الشعرية التي جادت بها نفس الشاعر حتى يتسنى الحكم على مدي جودة الحجة التي اقتنصها، حيث قال:

البينُ جرعني نقيعَ الحنظلِ ∴ والبينُ أثكلني وإنْ لم أُثكلِ

ما حسرتي أنْ كدتُ أقضي إنما ∴ حَسرَاتُ نَفْسي أنَّني لم أفْعلِ[3]

وبالنظر إلى أبيات أبى تمام يمكن القول إن المقطوعة على الرغم من قلة أبياتها إلا أن الشاعر قد استطاع بحنكة الأديب وحس الشاعر الأريب أن يصور حاله التي آلت إليها نفسه، ومآل الأمر إلى شيء واحد يتمثل في القطيعة الحادثة

---

(١) شرح ديوان أبي تمام، ٤/ ٢٥٣، التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام المدرس بمعهد اللغات الشرقية بجامعة لندن، ط:٣، دار المعارف.

(٢) أخبار أبي تمام، ٢٦٣- ٢٦٤.

(٣) شرح ديوان أبي تمام، ٤/ ٢٥٣.

من محبوبته؛ لذا نجد الشاعر صدر المقطوعة بقوله: " البين" ولم يكتف بها في صدر المقطوعة، بل عاد وصدر بها الشطر الثاني من البيت ذاته في إشارة منه إلى إلحاحه على بيان قضية البين وما تبعها من مستتبعات، وقد انمازت مقطوعة أبي تمام بالتكرار بين الكلمات المتجانسة، وربما كان التكرار سبباً من أسباب الملالة –أحياناً– غير أن ذلك لم يكن في دفقة شاعرنا؛ لأن الغاية من التكرار إنما هي خدمة الفكرة الذي رامها الشاعر، كما أن أبا تمام لم يسر على نهج واحد في قضية التكرار، وإنما تعددت أشكاله وتباينت ألوانه، حيث كرر كلمة بعينها، وتجلى ذلك في كلمة البين سالفة الذكر، وتشي تلك الكلمة بشيء مفاده أن البين الحادث من المحبوبة هو سر إلهامه من ناحية ثم لم يفتأ أن أراد تعزيز فكرته بالحجة والبرهان حتى تثبت في ذهن المتلقي، وكأن أبا تمام قد أحس باضطراب في ذهن المتلقي إزاء فكرته تجاه محبوبته ومذهبه في الحب؛ لذا عمد إلى تكرار كلمة البين، كما ألح على بيان حاله بعد البين؛ فهو تارة بين تجرعه نقيع الحنظل، وأخري بين نفس مثكولة غير أنه ختم البيت باحتراز لطيف بيّن خلاله أن ذلك ليس دأبه وكأنه يوطأ لما هو آت من بيان وجهة نظره إزاء الحبيب الأول، والحبيب الثاني الذي من الممكن أن يحل محل الأول لكن أني ذلك مع نفس نزل الحبيب الأول منها منزلاً لا يعوضه آخر، ثم يختم أبو تمام مقطوعته بتكرار على نهج النوع السابق نفسه، حيث كرر كلمة "منزل" في البيت الرابع والأخير من المقطوعة، وجاء التكرار على شاكلة السابق من حيث الشكل دون المضمون،إذ وزع التكرار على شطري البيت مع اختلاف يسير استدعاه المعنى فالمنزل المذكور أولاً إنما ذُكر بعد كم التي تفيد التكثير، حتى يستطيع التسلل من خلال المنازل المتعددة إلى منزل واحد يعلق في القلب والعقل ولا يفارقهما مهما تعددت المنازل، فما زال الحنين يشد المحب حتى يصل به إلى الحبيب الأول كما يشد المنزل الأول صاحبه، ولعل من يمعن النظر في التكرار الذي جادت به نفس الشاعر في البيت الأول والبيت الأخير يجد تآزراً وتعانقاً فيما بينهما، فكأن البين

قد أحدث في نفس صاحبه شرخاً تسبب في اضطرابها، لكنه على الرغم من ذلك ظل متعلقاً بأهداب حبيبته فليس هناك من يسد ذاك الفراغ الذي أضحى يحياه، وكأني بأبي تمام يريد أن يرد من خلال الشبه القائم بين الحبيب الأول والمنزل الأول على كل من يريد التشكيك في مكانة الحبيب الأول من نفسه، فالمنزل الأول بمثابة تاريخ ثابت لا يتغير بمرور الأيام والسنون، كذاك الحبيب الأول خاصة بعدما لاقه من ألم الفراق. وقد استطاع أبو تمام أن يبث رسالة من خلال كلمة منزل التي ختم بها أبياته، تتمثل في أن الحبيب الأول هو العالق في الذهن ليس هذا فحسب بل سيظل عالقاً مهما تنقل القلب بين محبوبات أخر.

ومن أنماط التكرار لدي أبي تمام استعماله للكلمات المتجانسة من أمثال قوله: "أثكلني، وأثكل، وحسرتي، وحسرات، الحب، والحبيب"والناظر في هذا النمط من التكرار يجده قد كرر أثكلني ولم أثكل في شطر واحد ولعل سرعة الشاعر في ملاحقة التكرار ترجع إلى أن سؤالاً ربما دار في ذهن المتلقي، مفاده: كيف أثكلك البين وما زلت حيا؟ وقد ألجأ ذلك الشاعر إلى السرعة في الرد من خلال احتراز لطيف بقوله لم أثكل، ثم يردفه بتكرار يتعلق ببيان حسرات نفسه من خلال استفهام عن حسرته التي كادت تقضي عليه، ثم سرعان ما يبين أن حسرات نفسه تتمثل في أنه لم يفعل، وكأنه يريد أن يبين للمتلقي مدي المعاناة التي يعانيها، فهو في حرب ضروس بين نفس متعلقة بمحبوبته التي بانت منه، ونفس أخري تسعي جاهدة للخروج من تلك الكبوة، غير أن النفس المتعلقة بالحبيب الأول هي التي انتصرت في نهاية المطاف، والذي كان من تبعاته التكرار الثالث الذي أقامه بين الحب على إطلاقه، والحبيب الأول، وقد شايع التوفيق الشاعر في هذا التكرار حيث صبه من خلال أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، حيث إن الحب الأبقى والأكثر حياة مع النفس هو الحب الأول. علي أن المتمعن في الأبيات السابقة يجد أبا تمام قد عول على فعلين مشددي العين، جاء الأول منهما في بداية المقطوعة؛ وهو" جرّع" في حين ذكر الثاني في صدر البيت الثالث؛ وهو

"تقّل"، وقد ساعد الفعل الأول في رسم الصورة التي أراد الشاعر تجليتها للمتلقي حتى يتيقن من مدي معاناة الشاعر من ألم الفراق، كما تصور أيضاً مكانة المحبوبة من محبها، وأما الفعل الثاني فقد صدر به مشهد الاختيار بالنسبة للمحب حيث ينقل فؤاده حيث شاء، ثم تأتي النتيجة المحتومة المتيّقَنة؛ وهي العودة للحبيب الأول فما زال القلب متعلقاً به.

وأما بيتي أبي تمام حول حجته بالنسبة للحبيب الأول وما تلاه فتتجلي براعته في طريقة عرض فكرته حيث أباح للمحب أن ينقل فؤاده حيث شاء من الهوى، لكن يبقى الحب الأول هو العلامة الأبرز والأقرب إلى سويداء القلب، ولو توقفت حجة أبي تمام عند حُكمه بأن الحب الأول له البقاء دون الثاني لكانت حجة يسهل دحضها لكنه جنح إلى ضرب مثل من حياتنا حتى يقوي حجته، فمعلوم أن الإنسان بطبيعته ربما أَلِف العديد من المنازل لكن يبقي المنزل الأول هو أكثرها حباً وتعلقاً بقلبه، وبالنظر إلى البيتين يمكن القول: إن أبا تمام استطاع بحرفية الفنان المبدع أن يحدث إيقاعاً لبيتيه من وجوه:

أولاً : من يمعن النظر في البيتين يجد أن الشطر الأول من البيت الثاني مناظراً للشطر الأول من البيت الأول، في حين جاء الشطر الثاني من البيت الثاني في موازاة الشطر الثاني من البيت الأول؛ وتلك براعة من أبى تمام.

ثانياً : استطاع أبو تمام أن يذكر في بيتيه الفؤاد، والهوى، والحب، والحبيب الأول، والحنين.

ويكمن سر اختيار أبي تمام للمنزل حجة دون غيره في أن المنزل يعد مكاناً للسكن والاطمئنان، فلو سُئل أحدنا عن أوسع مكان في الدنيا لتوجبت الإجابة بقوله : "بيتي"؛ لأن الإنسان عندما يخلو في بيته يصنع ما لا يصنعه خارجه، وكذلك الحال مع الزوجة المحبوبة، وعلي هذا فالعلاقة بين البيت والزوجة علاقة متوازية حيث يسيران في اتجاه واحد لغاية واحدة تتمثل في السكن والهدوء والمودة.

وقد حكي محمد بن داود بيتاً شايع به مذهب أبي تمام وقال: أخذه من قول ابن الطثرية: (١)

تـانِي هَوَاها قبلَ أنْ أعرِفَ الهَوى ∴ فصادَفَ قلباً فارِغاً فتَمَكَّنَا

وقد اتكأ الشاعر على حجتين تنبعان من حجة واحدة؛ الأولي: أن هواها أتاه قبل معرفة قلبه الهوى، والثانية: مصادفته لقلب فارغ مما نتج عنه تمكن الهوى من القلب، وتشي الصورة التي رسمها ابن الطثرية بأنه لا خبرة له في بحر الهوى؛ حيث لم يعرف الهوى من ذي قبل، وعلى هذا فقلبه فارغ، ولعل من المسلم به أن قلباً فارغاً ولا خبرة له في هذا الأمر من الممكن أن يتمكن الهوى منه تمكن الصياد من فريسته. وعلى هذا فحجة ابن الطثرية تُضعف إزاء حجة أبي تمام فالمحب هنا قلبه خال ولا يعرف الهوى، كما أنه لم يترك لنفسه فسحة التجربة مرة أخري حتى يتمكن من الحكم الدقيق الذي لا فكاك عنه، بينما ترك أبو تمام خيار تنقل الفؤاد حيث شاء من الهوى ومن ثم يعود بعد ذلك لمحبوبته

---

(١) نسب الجاحظ البيت لمجنون بني عامر. بينما نسبه ابن قتيبة لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)٣/١٣ نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ. يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر، المعروف بابن الطثرية، الشاعر المشهور؛ هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني، وإنما قيل لجده " سلمة الخير " لأنه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر، قال: وقد قيل إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة. وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير. وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير. ذكر أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور، وكان الطوسي قد اعتنى به وجمعه، فقال: كان ابن الطثرية شاعراً مطبوعاً عاقلاً فصيحاً كامل الأدب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه، وكان سخياً شجاعاً له أصل ومحل في قومه من قشير، وكان من شعراء بني أمية مقدماً عندهم. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، ٦/٣٦٧ نشر: دار صادر – بيروت.

الأولي، ويبدو من الصورة التي بين أيدينا أن الشاعر أراد أن يتقوقع في تجربة واحدة لا يجاوزها إلي غيرها فكأنه قد أوصد باب قلبه حتى لا ينفتح لامرأة أخري. وقد عاب صاحب كتاب الزهرة مذهب ابن الطثرية قائلاً "ولعمري إنَّ هذا لمن نفيس الكلام غير أنَّ في البيت ضعفاً وذلك أنَّه جعل سبب تمكُّن الهوَى من قلبه أنَّه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره وليست هذه من أحوال أهل التَّمام إذ كلُّ من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التَّمكُّن منه"(١)

ومما يدخل في هذا الباب قول المتنبي:(٢)

ولكنَّ حبّاً خامرَ القلب في الصِّبا ∴ يزيدُ على مرّ الزّمانِ ويشتَدُّ

يشبه قول مجنون بنى عامر السابق " أتانى هواها... البيت" والبيت مختلف في نسبته كما سبق. ويضم إليه قول ابْنِ أوْدٍ : الطينة تَقْبَلُ الطبائع ما كانت لَيِّنَةً .(٣)

وقد وقف الواحدي عند البيت معقباً بقوله: هذا كالاعتذار من حبهن بعد ما ذكر من غدرهن وما سوى أخلاقهن واستدرك على نفسه بأنه لا يقدر على مفارقة هوى نشأ عليه طفلا فهو يزداد على مرور الزمان شدةً.(٤)والناظر في صورة المتنبي يساوره عدة أمور، تتمثل فيما يأتي:

---

(١) الزهرة، ٦٢/١.

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه، للحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (المتوفى: ٣٩٣هـ)، حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس،٧٢٩/١ نشر: جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

(٣) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٩هـ/ ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،١٦٧/٤، نشر: دار الجيل لبنان/ بيروت، سنة النشر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٤) شرح ديوان المتنبي لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) وفي متنه شرح الإمام العلامة الواحد ، تأليف الشيخ المعلم في المدرسة الكلية البرلينية: فريدرخ ديتريمني، ٣١١، طبع مدينة برلين المحروسة سنة١٨٩١م.

أولاً : تقوقع الشاعر في حب واحد لا يجاوزه إلى غيره.

ثانياً : مخالطة حب المحبوبة قلب المحب؛ لذا لم يبرحه إلي غيره.

ثالثاً : حدد الشاعر المرحلة الزمنية التي تعلق فيها بمحبوبته، وكان من مستتبعات ذلك أن زاد الحب واشتد مع مرور الأيام كما يشتد عود الصبي.

وعلى هذا فيمكن القول إن سبب تقوقع الشاعر في حب واحد يعود إلى ملامسة قلبه للحب وهو ما زال صبياً فلا خبرة له في هذا الباب، فحبه الذي نما واشتد كما يشتد الصبي أشبه ما يكون بحب الصبي لأمه الذي لا يفتر ولا يضعف، بل يزداد ويقوي مع تتابع الأيام والسنين، فهو إلى الحب الفطري أقرب؛ وهذا مما أضعف الصورة، ولعل هذا كان سبباً في الاعتذار من حبهن على الرغم من غدرهن، فكأنه يتلمس لنفسه سبباً يبرهن به سبب تعلقه بها على الرغم من صدها عنه، ويعضد كل ذلك ويقويه ما صدر به القصيدة حيث قال:

لقَد حازَني وَجْدٌ بمَنْ حازَهُ بُعْدُ ∴ فيَا لَيْتَني بُعدٌ ويا لَيتَهُ وَجْدُ

أُسَرّ بتَجديدِ الهَوَى ذِكْرَ ما مضَى ∴ وإنْ كانَ لا يَبقَى له الحجرُ الصّلدُ

والمعني لقد ضمني واشتمل عليّ وجدٌ بمن ضمه البعد وقاربه، ثم قال لي ليتنى بعد لأحوزه فأكون معه ويا ليته وجد ليحوزني ويتصل بي. كما أنه يسر بأن يجدد لي الهوى ذكر شيء قد مضى من أيام وصل الأحبة ولذة التواصل وإن كان الحجر الشديد لا يبقى له تأسفا عليه وحنينا إليه. ثم يستمر الشاعر في العزف على الوتر ذاته دون أن يحيد بالصورة عن اللوحة التي رسمها،وهي: تعلق بالمحبوبة ووهن إزاء حبه لها حتى قال بعد ذلك:

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ∴ ومن عهدها أن لا يدوم لها عهدُ[1]

وكأني به يتلمس العذر لها فتلك سجية فيها، فغدرها وفاء؛ لأن عهدها أنها لا تبقى على العهد فإذن وفاءها غدرٌ، وعلى هذا فكل ما سبق يعد من باب

(١) ينظر شرح ديوان المتنبي للواحدي، ٣١٠ وما بعدها.

التوطئة لقضيته الكبرى والتي تتمثل في تعلقه بالحب الأول دونما تفكير في الحياد عنه لغيره، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد بل إنه يزداد ويشتد مع تعاقب الليل والنهار.

ولكن تبقى صورة أبي تمام هي الأعلى حظاً؛ نظراً لتعدد التجارب من خلال تنقل الفؤاد ثم العودة للتجربة الأولي، فكأن المحب من وجهة نظره قد وازن فيما بينه وبين نفسه ثم رجحت كِفة التجربة الأولي، فلما رجحت استعان بحجة من واقع الحياة لتقوية مذهبه.

واعتمد شاعر آخر حجة جديدة انطلق من خلالها لتفضيل الحب الأول ذلكم، هو: بشار بن برد وموقفه من سلمى، حيث يقول:

سبقت بالحب سلمى غيرَها ∴ وأحق الناس عندي من سبق(١)

وقد استدعى البيت جعفر بن سليمان حيث قال: "قصدت المهدي يوما فقال: دخلت إلى جارية يقال لها حسناء ودخلت أخرى يقال لها ملكة، وأردت القيلولة فقلت: عند أيكما أقيل؟ فقالت حسناء: إن الله تعالى يقول: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ"(٢)، فقالت ملكة لا تعجّل فإن الله تعالى يقول: "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى"(٣)، فقلت: لو أن شريكا حضرهما لم يقدر أن يقضي بينهما"(٤) وقد اتكأ بشار على حجة السبق من أجل استقرار الحب الأول حتى لا يتعداه إلى سواه، وأري أن استشهاد الجارية الأولي ليس في محله؛ لأن مناط السبق في الآية يرجع إلى العمل، بينما إلى أسبقية اللقاء في بيت بشار، على أن هناك عدة

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ٢٤٩/١، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الواقعة، آية رقم" ١٠".

(٣) سورة الضحى، آية رقم "٤ ".

(٤) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاضرات الشعراء والبلغاء،٣٤٩/١.

شواهد تعضد حجة بشار في تقديم الأول على الثاني بسب فضل السبق؛ من ذلك تأثر الشعراء ببعضهم فمعلوم أن المعنى الواحد إذا تعاوره أكثر من شاعر فإن للأول فضل السبق، بينما الفضل في الثاني يرجع للإجادة وعلى هذا فيكون للأول فضل الريادة وللثاني فضل الإجادة. ومن مثل نهى النبي – صلي الله عليه وسلم – من تخطى الرقاب في صلاة الجمعة بالنسبة للمتأخر. كما جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – الفضل لمن سبق، "قال ابن إسحاق وعكاشة بن محصن الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله:– صلى الله عليه وسلم– يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي على صورة القمر ليلة البدر قال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال إنك منهم أو اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة"(١) وعلى هذا فحجة بشار التي اتكأ عليها لها مآل عند النقاد من جهة، وفى الشرع من جهة أخري، غير أنها تتضاءل إزاء حجج العشاق فالسبق المجرد هو السبب الرئيس لاستئثار المحب بمحبوبة واحدة لا يتعداها إلى غيرها؛ ولذا فالمحب من وجهة نظر بشار والمتنبي وابن الطثرية متقوقع في تجربة واحدة ولا مجال للموازنة لديهم.

وممن تعرض لتلك الفكرة وكان من الذين سبقوا غيرهم كثير عزة حيث قال:

إِذَا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ كَيْ تُزِيلَنَا ∴ أَبَيْنَا وَقُلْنَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

وقد ذكر البيت ابن كثير في سياق قصة مفادها" أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَ كُثَيِّرًا مِنْ عَزَّةَ فَأَبَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبَعْدَ مَا فَضَحَنِي بَيْنَ النَّاسِ وَشَهَّرَنِي فِي الْعَرَبِ؟ ! وَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الِامْتِنَاعِ. ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.

(١) السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد المتوفى ٢١٣هـ ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد،١٨٦/٢، نشر دار الجيل بيروت ١٤١١ه.

وَرُوِيَ أَنَّهَا اجْتَازَتْ مَرَّةً بِكُثَيِّرٍ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، فَتَنَكَّرَتْ عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُ، فَتَعَرَّضَ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ: فَأَيْنَ حُبُّكَ عَزَّةَ؟ فَقَالَ: أَنَا لَكِ الْفِدَاءُ، لَوْ أَنَّ عَزَّةَ أَمَةٌ لِي لَوَهَبْتُهَا لَك. فَقَالَتْ: وَيْحَكَ! لَا تَفْعَلْ، أَلَسْتَ الْقَائِلَ: إِذَا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ كَيْ تُزِيلَنَا ... أَبَيْنَا وَقُلْنَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي، أَقْصِرِي عَنْ ذِكْرِهَا وَاسْمَعِي مَا أَقُولُ. ثُمَّ قَالَ:

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إِلَّا وَصْلُ غَانِيَةٍ ∴ فِي وَصْلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا بَدَلُ

قَالَتْ: فَهَلْ لَكَ فِي الْمُجَالَسَةِ؟ قَالَ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: فَكَيْفَ بِمَا قُلْتَ فِي عَزَّةَ؟ فَقَالَ: أُقْلِبُهُ فَيَتَحَوَّلُ لَكِ. قَالَ: فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا وَقَالَتْ: أَغَدْرًا وَتَنَكاثًا يَا فَاسِقُ؟ ! وَإِنَّكَ لَهَا هُنَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ. فَبُهِتَ وَأَبْلَسَ، وَلَمْ يَنْطِقْ وَتَحَيَّرَ وَخَجِلَ، ثُمَّ قَالَتْ: قَاتَلَ اللَّهُ جَمِيلًا حَيْثُ يَقُولُ:

لَحَا اللَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْوُدُّ عِنْدَهُ ∴ وَمَنْ حَبْلُهُ إِنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ

وَمَنْ هُوَ ذُو وَجْهَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ ∴ عَلَى الْعَهْدِ حَلَّافٌ بِكُلِّ يَمِينِ

ثُمَّ شَرَعَ كُثَيِّرٌ يَعْتَذِرُ وَيَتَنَصَّلُ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُ، وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ الْأَشْعَارَ ذَاكِرًا وَآثِرًا.(١)

إن من يمعن النظر في النموذجين السابقين يجد كثيراً قد تقلب مع الفكرة والحجة حسب الموقف الذي يحياه فلم يثبت على موقف واحد أو حجة واحدة، ففي البيت الأول كان عنوانه الإباء حيث لا حياد عن محبوبته مهما كانت المغريات والدوافع فالحاجبية تأتي في الصدارة وتبذ غيرها من النساء، و يعضد إباء الشاعر عدة أمور تتمثل فيما يأتي:

١- استعمل الشاعر حرف إذا ولم يستعمل إن، حيث الأولى تفيد التأكيد بينما الأخرى تفيد الشك مما يدل إمكانية حدوث ذلك الأمر.

---

(١) ينظر: عيون الأخبار، ٢٩/٤، .البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،٣٤/١٣-٣٥، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٢- انعطف الشاعر بعد ذلك إلى بيان العلة من وصول الخلة حيث تهدف للعدول عن محبوبته الحالية إلى أخري لكن أنّي ذلك.

٣- استعمل الشاعر كلمة "أبي" للتدليل على رفض فكرة الاستبدال، وتلك لفظة تشي بشدة الرفض، كما يتسلل للمتلقي مدي تمسك الرافض بموقفه، بل وربما اعتوره بعض الكبر، من ذلك قول الله تعالى حكاية لموقف إبليس" إلا إبليس أبي واستكبر"(١) ومثل حديث النبي -صلي الله عليه وسلم- الذي رواه أبو هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٢) فالآبي في الآية والحديث يرفض باستعلاء، وعلى هذا فإن الشاعر في البيت يستنكف فعل ذلك؛ لذا عطف على الرفض جملة تبين الوجه البديل؛ وهو الحاجبية التي استقر حبها في النفس، كما أن من معان أبي، رفض فعل الشيء مع كرهه إياه، ومن هنا فقد جمع الشاعر في عدم الفعل عدة أمور تتمثل في الرفض والاستعلاء مع كره فعل الأمر. ومن ثم فاستقرار حب الشاعر لمحبوبته راجع لتمكنه من نفسه؛ لذا جعلها في الصدارة من غيرها فهي الأولي ولا مكان لسواها. وقد تناقض الشاعر مع نفسه بسب موقف عارض حيث سقط في فخ نُصب له من قبل محبوبته، ليس هذا فحسب بل إن الناظر للبيت وما حواه لأحس أنه إزاء شاعر استطاع أن يجعل وصال محبوبته طريقاً للوصول إلى غيرها، ويتبدي ذلك من خلال الأمور الآتية:

---

(١) سورة البقرة آية رقم"٣٤".

(٢) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،٩٢/٩ نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١- صدر الشاعر بيته باستفهام تقريري يهدف إلى إحداث حوار مع المتلقي من أجل الإقرار بحجته.

٢- أردف الشاعر الاستفهام باستثناءٍ بغية أن يكون متكأً لمأربه الذي رام إليه.

٣- ختم كثير بيته بما استقر في نفسه حيث قضية إجابة الهوى لكل من دعا.

غير أن المتمعن في البيت يشعر أن التكلف يشع من كل جوانبه، حيث إن قضية إجابة الهوى قد سيطرت على خلجات الشاعر؛ ومن هنا كرر كلمة الوصل أربع مرات، كما أعاد لفظة الغانية مرتين، وكأنه يشعر أن المتلقي لا يثق في زعمه؛ لذا لجأ إلي تكرار كلمات بعينها على سبيل تأكيد قضيته، ولو كان الأمر مستقراً في نفسه للجأ إلى حجة دامغة لا مرد لها لكن لما كان الأمر بخلاف ذلك ألح على أمرين، هما: الوصل، والمرأة المستغنية عن الزينة. وعلى هذا فقد طلب الشاعر الفردوس الأعلى من النساء كما هو لائح، وكأنه يرد على كل من يشكك في هذا الأمر من خلال وصل الغانية، بل وجعلها بدلاً لغيرها.

وهكذا تباري كل شاعر في اقتناص حجة تدعم مذهبه في الحب، وعلى الرغم من اتفاق الشعراء السابقين في المذهب إلا أن حججهم تباينت فيما بينها، وإن كان هناك من تلون في مذهبه فلم يستقر به المقام حول مهيع واحد و إنما اقتنص الحجة حسب الموقف الذي قال فيه البيت.

وإذا كان النموذج الذي بين أيدينا يمثل وفاء لحب واحد لا يحيد عنه الرجل إلى غيره فهناك نموذج آخر نقض المذهب السابق ورسم لنفسه طريقاً يختلف عن الطريق السابق حيث قدح زناد عقله من أجل الإتيان بحجج تقوي المذهب الذي رامه وذاك هو الفريق الثاني.

المبحث الثاني
ثانياً: شعراء فضلوا الحب الثاني دون الأول

ذاك هو الفريق الثاني الذي اختط لنفسه منهجاً في الحب والهوى يناقض المذهب السابق، وإذا كان الفريق الأول قد اجتهد في تأكيد مذهبه في الحب من خلال مجموعة من الحجج العقلية المستقاة من دنيا الحياة المعاصرة فقد سلك هذا الفريق الطريق نفسه، ليس هذا فحسب بل عمد بعضهم إلى نقض بعض حجج الفريق الأول، كما لجأ البعض الآخر إلى تقوية مذهبه من خلال اعتماد حجج تتعلق بالدين في محاولة منه لإيصاد الطريق في وجه من يحاول نقض حجته. ولعل أول ما يطالعنا في هذا الباب ما قاله ديك الجن[1] في محاولة منه لنقض ما قاله أبو تمام، حيث قال:

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى ∴ كهوى جديدٍ أو كوصل مقبل

وقد ورد البيت مع مجموعة أبيات جاء البيت منتصفها، والأبيات هي:

اشربْ على وجهِ الحبيبِ المقبلِ ∴ وعلى الفمِ المتبسِّمِ المتقبلِ
شرباً يذكرُ كلَّ حبٍ آخرٍ ∴ غضٍ وينسى كل حبٍ أولِ
نَقِّلْ فؤادكَ حيث شئتَ فلن ترى ∴ كهوىً جديدٍ أو كوصلٍ مقبلِ
ما إن أحنُّ إلى خرابٍ مقفرٍ ∴ درستْ معالمه كأن لم يُؤْهَلِ

---

(١) هو: عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب ابن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم أبو محمد الشاعر المعروف بديك الجن من أهل حمص شاعر مطبوع له شعر حسن وحدث عن دعبل بن علي الشاعر روى عنه محمد بن حفص الصفار الشاعر وعلي بن الحسن الطرسوسي قدم دمشق ومدح بها ابن المدبر وكان جده تميم من أهل مؤتة فأسلم على يد حبيب بن مسلمة الفهرى ويقال إنه مولى لطيء. ينظر تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،٢٠١/٣٦، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

مقتي لمنزليَ الذي استحدثتُهُ ∴ أما الذي وَلىَّ فليس بمنزلي[١]

بدأ ديك الجن أبياته وهو مدفوع بمحرك داخلي غالب على كل أحاسيسه وانفعالاته التي تسير تجاه تفضيل الحب الأخير على ما قبله؛ لذا طلب من المتلقي يبحث عن الحبيب المقبل لا المدبر، ومن ثم يتلو ذلك فم متبسم، ولقد كان ديك الجن حصيفاً حيث لم يُقدم على نقض فكرة أبي تمام مباشرة وإنما وطأ لها من خلال توصيف حاله مع الحبيب الجديد المقبل، إذ دعا للشرب معه ،ومن ثم يجد فماً متبسماً، ولعل في ذلك ما يذكره بالحب الأخير الذي ما زال غضاً، وشأن هذا الحبيب أن يطوي ما سبق حتى يصبح في غياهب النسيان، وبعد إطلاقه لمجموعة من الحقائق التي عايشها بنفسه، انطلق لهدم فكرة أبي تمام من خلال إطلاق العنان للمتلقي في تنقل فؤاده حيث شاء، ثم تكون النتيجة التي لا مناص منها حيث الفؤاد أكثر تعلقاً بالهوى الجديد أو الوصل المقبل، ثم يتسلل ديك الجن بعد ذلك للاحتجاج لفكرة الحب الجديد أو الأخير من خلال الضرب على وتر يكاد يتفق الجميع عليه ألا وهو عدم تعلق القلب بالمكان الخرب المقفر، فمن شأن النفس أن تتعلق بكل عامر آهل بالسكان من أجل الاستئناس والشعور بالأمن والاطمئنان، إذ كيف تحن النفس لمكان درست معالمه وأضحت أثراً بعد عين؟ ولم يكتف الشاعر بهذا بل امتد في محاولة منه لتثبيت أركان فكرته من خلال وصف حاله مع المنزل المستحدث حيث يمقته على الرغم من استحداثه، فكأنه ملّه وهذا يدعوه للبحث عن كل جديد مستحدث، أما الذي ولي فليس بمنزله، والمعنى على تأويل المقت بمعنى شدة البغض، غير أن للكلمة وجهاً آخر يتمثل في الحب والتعلق، ومن هنا يكون الوجه على أن الشاعر لا يتعلق إلا بكل جديد أما القديم البالي الذي ولى فلا مكان له عنده.

---

(١) ينظر: ديوان ديك الجن الحمصي جمع وتحقيق: مظهر الحجي،٢٠٣، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٤. كتاب الصناعتين الكتابة، ٤١٨.

والناظر في النموذج الذي بين أيدينا يتبدي له مجموعة من الأمور، تتمثل فيما يأتي:

١- ركز ديك الجن على بعض الصفات الحسية لمحبوبته، مثل: وجه الحبيب المقبل، والفم المتبسم، والحب الغض، وتلك استعارة مكنية حيث شبه الحب بامرأة غضة لينة ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الغضاضة؛حتى يستحضر في ذهن المتلقي المرأة الغضة اللينة التي لم يمسسها لامس، ومن ثم تكون النتيجة المحتومة؛ ألا وهي نسيان الحب الأول واستبدال الحب الجديد به، ولعل الذي حدا بديك الجن لأن يسلك هذا المسلك من حيث الوقوف على عدد من الصفات الحسية حتى يغرى المتلقي بفكرته ويعززها في نفسه، من أجل تثبيت منهجه مع الحب في نفس المتلقي، لئلا ينكر عليه مذهبه حيث يتلمس لنفسه حجة دامغة.

٢- أطلق ديك الجن الخيار للمحب في تنقل فؤاده حتى لا يلوم عليه في أنه كان سبباً في تقوقعه حول حب واحد لا يحيد عنه، ثم استعمل كلمة "لن تري" التي تشي بأنه عاين ورأي بنفسه ثم أقام موازنة بين حبيّه الجديد والقديم، ومن ثم انحاز للهوي الجديد على حساب القديم.

٣- استطاع ديك الجن أن يقيم علاقة متوازية بين الحبيب القديم والمنزل المقفر، والحبيب الأخير مع المنزل الجديد، فكل منهما يسير في مهيع واحد، ودائماً ما تتعلق النفس بالمنزل الجديد أما الذي درست معالمه فقد أضحي من باب الذكريات.

٤- ختم الشاعر فكرته ببيان حاله؛ حيث يمقت المنزل المستحدث وتلك كلمة تشي بمعنيين فهي تدور بين التعلق والحب تارة، وبين البغض والكره أخري، وكأني بالشاعر يستعمل كلمة نستطيع من خلالها أن نؤسس منهجه فربما ملّ المنزل الجديد أيضاً، ومن ثم ينطلق باحثاً عن غيره، بينما الذي ولي فلا مكان له في نفسه، ومن هنا فإن الناظر في النموذج الحالي يشتم منه أن

صاحبه رجل لعوب يميل للمرأة الغضة اللينة ولا يعبأ بغيرها من النساء اللواتي أصبحن في عداد الماضي، وعلى هذا فقد استطاع ديك الجن بحرفية الفنان المبدع أن يعيد فلسفة فكرة أبي تمام بقضها وقضيضها من خلال حجة تتعلق بها النفس، فهي دائما ما تتشوف لكل جديد.

غير أن حبيب بن أوس عندما بلغه قول ديك الجن ما قرت قريرته حتى رد عليه قائلاً:

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ∴ ما الحب إلا للحبيب المقبل
أو طيّبٌ في الطّعمِ ما قد ذُقتَه ∴ من مأكل أو طعم ما لم يؤكل(١)

تنبني المجادلة كما هو معلوم على قرع الحجة بالحجة، فيذكر أحدنا حجته ثم ينقضها المجادل، غير أن أبا تمام لجأ إلى حجة جديدة فكأنه يرسل رسالة مفادها أنا لا أضيق بالحجج من أجل دعم فكرتي التي رمتها، كما أنه لم يلجأ إلى نقض الحجة مباشرة بل اتهم من نقض رأيه بالكذب، وكأني به يريد بث الزعزعة والاضطراب في نفس ديك الجن، ويؤكد ذلك ويقويه أنه لم يَرُم مذهبه في أن الحب إنما هو للحبيب الأول، حيث أكد كذب النظرية الأخرى عندما قال "كذب الذين" وتلك مقالة أشبه ما تكون بالصعقة الكهربائية التي تسبب رعشة واضطراباً لصاحبها، تلا ذلك تأكيد لما قاله قبل قليل عندما قال: "تخرصوا" وتلك كلمة تشي بأن المذهب الآخر إنما هو مذهب لا أصل له؛ لأنه مختلق مفتعل، ويتسم كلام أبي تمام بالدقة وعدم التجني عندما يقول:"في قولهم" حيث لم يتهم من نقض نظريته بالكذب على الإطلاق حتى لا يستعدى من لم يتعلق بمذهبه، وأراد أن يكون الرد مصوباً تجاه قضية محددة، ثم ينفي المذهب الآخر بعد ذلك من خلال اعتماده على أسلوب القصر ومتخذاً النفي والاستثناء طريقاً مساعداً في هدم النظرية الأخرى، ثم يشهر سيفه معتمداً حجة جديدة تعتمد على التجربة، ومتكأً على حاسة التذوق،

(١) ديوان الصبابة، ٢.

وكأني به يصور الحب الأول المُجرب طعاماً طيباً ذاقه آكله ثم تلذذ به، أما ما لم يؤكل فهو أشبه ما يكون بالمجهول الذي يحتاج لاطمئنان صاحبه أولاً، وهكذا اعتمد أبو تمام حجة تخالف الحجة السالفة؛ حتى يجعل الأرض تهتز من تحت أقدام من قرع حجته الأولى، ثم لجأ إلى حجة حسية صور خلالها العشق الأول بالطعام المُتلذذ به المجرب. غير أن ديك الجن لم يقف مكتوف الأيدي إزاء رد أبى تمام حيث انبرى لقرع حجته الجديدة متخذاً الأسلحة التي اعتمدها أبو تمام ومعتقداً أنها ستكون سبباً في الانتصار لمذهبه، حيث قال:

أرغب عن الحب القديم الأول ∴ وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى ∴ كهوى جديد أو كوصل مقبل[1]

وللبيتين رواية أخري، هي:

كذب الذين تحدثوا أن الهوى ∴ لا شك فيه للحبيب الأول
مالي أحن إلى خراب مقفر ∴ درست معالمه كأن لم يؤهل[2]

وما زال ديك الجن ينزع في الحب منزعاً يشي بعدم الوفاء لكل قديم، بل ربما وصل لدرجة الجحود، حتى إنه لا يتورع من التنكر للقديم بينما يحتفي بما هو آت مستأنف، وتجلى ذلك من خلال دعوته في الرغبة عن الحب القديم، أما المستأنف الجديد فهو ما ينبغي أن يسعي إليه المحب، وخير شاهد على ذلك أن المحب لو نقّل فؤاده حيث شاء فستكون النتيجة المحتومة، وهي ميل كفة الميزان تجاه الهوى الجديد، وإن لم يكن كذلك فيكون هوي مستقبلاً، ولعل المتمعن في بيتي ديك الجن يستشعر أن صاحبهما عمد إلى تأكيد كلامه وكأنه كان متخوفاً من التنكر له؛ لذا ألح على تأكيد فكرة الحب الجديد، حيث كرره في البيتين أربع مرات تمثل ذلك في: "المستأنف، المستقبل، كهوى جديد، كوصل مقبل"بينما لم يقف عند

(١) ديوان الصبابة لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (المتوفى: ٧٧٦هـ)،٣.
(٢) المرجع السابق،٣.

الحب الأول إلا مرة واحدة من خلال قوله: "الحب القديم الأول"، كما نلحظ استعماله لفظة قديم تلك التي يستشعر المتلقي من خلالها أن هذا الحب أضحي قديماً؛ لذا لا يُعبأ به خاصة إذا كان ذلك في مجابهة حب جديد مستقبلي.

وإذا كان هذا هو حال ديك الجن إزاء الحب الأول والحب الأخير فإنه لم يتغير كثيراً على الرغم من تعدد الروايات أو التجارب، حيث صدّر النموذج الثاني باتهام أصحاب المذهب الآخر بالكذب، وكأني به يقول واحدة بواحدة؛ أي اتهام باتهام، ثم يقلل من شأنهم من خلال قوله :" الذين تحدثوا" في إشارة إلى تحقير حديثهم فلم يُعرّف بهم على الرغم من شهرة صاحب المذهب، وذيوع بيتيه اللذان أضحا كالمثل السائر، وإنما كان مهموماً برسم صورة الحب الأول عنده أو قل حديثهم بالبيت الخرب المقفر الذي ربما أنفت النفس من الحديث عنه أو حتى تذكره في الخلوات. ويبدو أن ديك الجن كان مستشعراً أن فكرته ربما يطويها الزمن ولا تبلغ من الذيوع والشهرة ما ستبلغه فكرة أبى تمام وحجته؛ لذا قدح زناد فكره وسخّر كل طاقته في التهجين من الحب الأول من ناحية، والتمدح بالحب الثاني أو قل التغني به من ناحية أخري.

وإذا كان صاحب النموذج السابق قد اعتمد على نقض حجة طالما ذاعت واشتهرت حتى سارت مسير المثل في التغني بالحبيب الأول فإن هناك شاعراً آخر لجأ لتثبيت الحب الأخير معتمداً على حجة تتعلق بالدين بل بالنبي محمد – صلي الله عليه وسلم– حيث قال:

أعلقْ بآخِرِ مَنْ كلفتَ بحبه ∴ لا خير في حُب الحبيب الأولِ
أتشكّ في أن النبيَّ محمداً ∴ خيرُ البرية وهو آخرُ مرسَلِ[1]

من يمعن النظر في البيتين السابقين يتبدي له أن صاحبهما مدفوع نحو الحب الأخير دون الأول، ويتجلي ذلك من خلال ما صدر به بيتيه، حيث أعلن

(١) كتاب الصناعتين، ٤١٨. والبيتان بلا نسبة.

صراحة دون مواربة أنه متعلق بالحب الأخير، كما أنه أصبح كلفاً به، مما يصور مدي معاناته تجاه هذا الحبيب، ثم ينتقل ليعلن موقفه من الحب الأول، إذ لا خير فيه، ومن هنا فقد أقام الشاعر موازنة بين الحب الأخير وما تبعه من مشقة، والحب الأول الذي لا خير فيه؛ حتى يغلق الباب على المتلقي الذي ربما تشكك فيما ارتآه من تفضيل الحب الأخير، ثم ينطلق بعد ذلك كالسهم الذي أطلق من كنانته بحجة تلجم كل من يشكك في وجهة نظره، وكأني به يريد أن يصرف هم المتلقي عن رؤيته الأولي إلي وجهة نظر لا مجال للتشكيك فيها تلكم التي تتمثل في خيرية النبي- صلي الله عليه وسلم – على الرغم من أنه آخر المرسلين، فالفضل ليس للسابق على الدوام.

وأما بالنسبة للحجة التي استند إليها الشاعر من أجل تفضيل الحب الأخير على الأول فيمكن القول: اتكأ الشاعر على حجة أن النبي خير البرية على الرغم من أنه آخر المرسلين، ولا مشاحة في كون النبي كذلك، ولكن هل يعني هذا أنه لا خير في بقية الأنبياء، وقد روي النسائي في سننه أَخْبَرَنَا عَلِيّ بْنُ حُجْرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ لَهُ: هَلَّا وَضَعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةَ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ "[1] وإذا كان ما سبق يفت في عضد الحجة فإن الشاعر كان حصيفاً من زاوية أخري إذ ساق حجته على سبيل الاستفهام التقريري، حيث أراد أن يقيم حواراً بينه وبين المتلقي حتى يستنطق الموافقة منه على مذهبه، معتمداً في ذلك

(١) السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناءوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٢٢٦/١٠، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

على حجة تتعلق بالدين من خلال الاتكاء على حب طالما ملأ شغاف قلب كل مسلم، حيث لا يختلف أحد على خيرية النبي مهما زاد إيمانه أو نقص فالكل بخيرته- صلي الله عليه وسلم- مُسلّم. وإذا كان الشاعر السابق اعتمد حجة لها منزلة سامقة في النفوس، فقد طالعنا شاعر آخر استطاع تعميق فلسفة الحب الآخر من خلال صورة تتعلق بالماضي والحاضر، أو بالأحرى شباب ذاهب ومشيب مقبل، حيث قال ابن طباطبا العلوي:

دَعْ حُبَّ أوَّل مَنْ كلفتَ بحبِّه ∴ ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الآخرِ
ما قَد تولَّى لا ارتجاعَ لطِيبِهِ ∴ هل غائبُ اللذَّاتِ مثلُ الحاضرِ
إنَّ المشيبَ وقَدْ وفى بمقامه ∴ أوفى لديَّ مِنَ الشَّبابِ الغادرِ
دنياك يومُك دون أمسِك فاعتبرْ ∴ ما السَّالفُ المفقودُ مثل الغابرِ(١)

وقد أعلن العلوي مذهبه من خلال البيت الأول، الذي طلب فيه من صاحبه أن يترك الحب الأول على الرغم من أنه كلفٌ به، ثم يبرهن عن السر في ذلك لأن الحب لا يكون إلا للحبيب الأخير، فما تولي لا عودة لطيبه فما اللذات الحاضرة كالغائبة، وعلى هذا فإن المشيب الكائن المستقر يعد أوفي من الشاب الغادر، كما أن الدنيا يومان؛ يوم سالف مفقود وآخر حال، وهل يتساوي السالف المفقود مع الحاضر الذي نحياه. ويمكن للمتمعن في الأبيات السابق قول ما يأتي:

أولاً : بدأ الشاعر كلامه بفعل الأمر دلالة على شدة اقتناعه بمذهبه؛ وحتى يُثبت قوة شخصيته في نفس المستمع، ثم أردف ذلك بأسلوب القصر مستخدماً النفي والاستثناء طريقاً له من أجل تأكيد مذهبه في الحب على الرغم من تعلق المحب بمحبوبته الأولي وكلفه بها، لكن يبقى الحاضر أولى من الغائب.

---

(١) كتاب الصناعتين، ٤١٨.

ثانياً: انتقل بعد ذلك باحثاً عن حجة تعضد ما رام إليه من خلال مجموعة من الحقائق المسلمة لدي الناس جميعاً معتمداً النفي أسلوباً، إذ لا مرد لما ذهب وتولي.

ثالثا: أرسل العلوي استفهاماً تقريرياً حتى يقوي حجته في نفس المتلقي، فمعلوم أن اللذة الحاضرة أولي من الذاهبة الماضية، ثم يتسلل بعد هذه التوطئة إلى حجته التي لا ريب فيها، فمن المسلم به أن الكائن المستقر يعد أوفي ممن غادر وترك صاحبه يحيا وحده دون أنيس.

وقد استطاع ابن طباطبا العلوي أن يرسم صورة الحب الأخير حيث شكّله ووضعه في صورة متوازية مع المشيب، فعلى الرغم من أن النفس ربما تعاف من صورة المشيب حيث يؤذن بأفول نجم طالما ظل ساطعاً إلا أن الشاعر استطاع إعادة رسم المشيب على هيئة حجة تقوي مذهبه في الحب، ولعل من حصافة الشاعر في هذه الحجة أن جعلها تأتي متأخرة بعد أن وطّأ لها من خلال توصيف يتمثل في الغائب الذي ترك صاحبه يغرد وحده في الميدان، بينما كان المشيب أكثر وفاء منه الذي ظل ماكثاً مع صاحبه فهو أشد ما يكون احتياجاً له خاصة مع تقدم سنه، كذلك الحب الأول فقد غابت لذته مع ذهابه، أما الحب الأخير فما زال مستقراً مع صاحبه وفياً له؛ لذا فهو أشد علوقاً بالنفس من ماض أصبح أثراً بعد عين.

وهكذا تعددت رؤى الشعراء الذين فضلوا الحب الثاني على الأول من خلال مجموعة من الحجج دار بعضها في فلك حجج من فَضّل الحب الأول؛ لذا عمدوا إلى نقض حجته عن طريق قلب الصورة حيث الحب يعد رمزاً للبيت الخراب المقفر، بينما أضحي الحب الأخير رمزاً للبيت المستحدث الجديد الذي تألف النفس به، على أن شاعراً آخر اتكأ على حجة تتعلق بفضل النبي ذاك

الفضل الذي يقر به الأولون والآخرون، ولا مناص لإنكاره، في حين رام ثالث المشيب؛ الذي استقر مع صاحبه وأبى تركه كما فعل الشباب حجة لتفضيل الحب الثاني على الأول، غير أن فريقاً ثالثاً طالعنا بوجهة نظر ثالثة، فلم يَمِل إلى أحدٍ من الفريقين السابقين إذ استقر به المقام في مرحلة وسطي بين الفريقين السابقين فجعل لكل محبوب نصيباً، متبنياً المقولة الذائعة " خير الأمور أوسطها"[1] وعلى فإن هذا الفريق لم يرد إغضاب طرف على حساب آخر؛ وهذا هو المذهب الثالث.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : ٢٨٥هـ) تحقق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٥، نشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

المبحث الثالث

ثالثاً: شعراء ساووا بين الحبين مع عدم الانتصار لأحدهما

نعيش مع الفريق الثالث الذي أبى أن يفاضل بين حب قديم سابق وآخر جديد حالٍ، ويطالعنا النموذج الأول في هذا المذهب، حيث يقول الشاعر:

قَلْبي رهينٌ بالهوَى المقتبل ∴ فالويلُ لي في الحبِّ إنْ لم أعدِل
أنا مبتلى ببليَّتين منَ الهوى ∴ شوقٌ إلى الثاني وذكرُ الأول
فهما حَياتي كالطَّعام المشتهى ∴ لا بدَّ منه وكالشَّرَاب السلسلِ
قُسِمُ الفؤادُ لحرمةٍ وللذَّةٍ ∴ في الحبِّ من ماض ومن مستقبل
إني لأحفظُ عهد أولَ مَنْزِل ∴ أبداً وآلفُ طيبَ آخِر منزل[1]

بدأ الشاعر فكرته مبرزاً أن قلبه أضحي رهيناً بهوي المستقبل؛ لذا دعا على نفسه قائلاً: فالويل لي في الحب إن لم أعدل بين حبيّ القديم والجديد، وحتى يستدر عطف المستمع، أو لا يُتعجل في وسمه بأنه رجل لعوب يميل بين حبين، قال: إنه مبتلي ببليتين من الهوى شوق للهوي الجديد وشغف به، أما الأول فما زال ذاكراً له غير أنه كان سريعاً في بيان حاله مع الحب القديم لئلا يظن به ظن السوء من نسيانٍ للحب القديم، ثم صور حياته معهما كالطعام والشراب، وقد كان الشاعر فطناً لبيباً إذ ربما اعترض عليه معترض بأن الطعام ربما لا تشتهيه النفس من ناحية، كما أن الماء ربما كان غصصاً في الحلق لكنه أراد محو صورة ربما تعلق بذهن المتلقي من خلال احتراس لطيف في تشبيهين تواليا في بيت واحد؛ حيث حبه القديم والجديد كالطعام المشتهي وكالشراب السلسل، وقد علق الشاعر حياته على الحبين من خلال جعلهما حياته عن طريق الاستعارة المكنية، انتقل بعد ذلك لبيان أن فؤاده قُسم قسمين؛ الأول معني بالماضي التي أضحت لا

---

(١) كتاب الصناعتين،٤١٩، بلا نسبة.

تحل له لكنه ما زال متعلقاً بها، والآخر الذي يتلذذ به فهم حب المستقبل، تحول بعدها لرسم المنهج الذي يسير عليه فهو حافظ لعهد المنزل القديم، وأما المنزل الجديد فهو آلِفٌ له ولطيبه.

وقد حاول صاحب التجربة السابقة التوسط بين الحبين فلم يفضّل حباً على آخر، وإنما وقف موقفاً وسطاً ساعده على ذلك براعته في المزج بين الحبين دون أن يشعر المتلقي أنه فضّل حباً على آخر، ويتبدي ذلك من خلال عدة أمور تتمثل فيما يأتي:

أولا : دعاء الشاعر على نفسه إن لم يعدل، وتلك عبارة تشي بأنه سيعدل بين الحبين دونما مفاضلة بينهما.

ثانياً : استطاع وصف حاله بدقة دون الميل لطرف على حساب آخر حيث يشتاق للثاني الجديد، ومعلوم أن النفس تواقة إلى ما لم تنل، وأما الأول فما زال ذاكراً له في إشارة منه إلى أن الزمن لم يطو الحب القديم.

ثالثاً : جعل الشاعر حبيبتيه حياته، ثم شبه إحداهن بالطعام المشتهى، والأخرى بالشراب السلسل.

وعلى الرغم من اجتهاد الشاعر في العدل والمساواة بين حبيّه إلا أن المتمعن يشم رائحة ميله للحب الجديد على حساب القديم، ويتبدى ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: وصف الشاعر قلبه بأنه رهين بالهوى المتقبل ثم سرعان ما أراد إعادة الميزان إلى اعتداله من خلال قوله فالويل لي في الحب إن لم أعدل .

ثانياً: جعل الشاعر حبه الثاني شوقاً بينما جعل الأول ذكراً، ولعل من المسلم به أن أنهار الحب أكثر تفجراً مع الشوق.

ثالثاً: شبه حبه القديم بالطعام المشتهى في حين جعل الحب الجديد شراباً سلسلاً، ومعلوم أن النفس تصبر على الطعام أكثر من صبرها الشراب، مما يجعل النفس تستشعر أنها إزاء حبين بمنزلتين مختلفتين.

رابعاً: لم يتورع الشاعر من جعل حبه القديم كالعهد القديم الذي ما زال محافظاً عليه، لكنه مع منزله الجديد يستشعر الألفة والطيب.

ومن هنا يتبدي للمتمعن أن الشاعر قد اجتهد في محاولة منه للتوسط بين الحبين قدر الاستطاعة حيث جعل لكل حب وصفاً، وتشبيهاً، ومكانة، لكنه مال دونما شعور إلى الحب الجديد من خلال الصور التي رسمها لكل حب. على أن ذي الرمة طرح القضية بشكل أشبه ما يكون بمعركة أقامها بين الحبين القديم والجديد، وفي ذلك يقول:

أيا ميُّ إن الحُبَّ حُبَّان منهما ∴ قديمٌ وحب حين شبَّت شَبَائُبهْ

إذا اجتمعا قال القديم غلبته ∴ وقالَ الذي مِنْ بَعْده أنا غالِبُهْ[1]

استفتح ذو الرمة بيتيه بهمزة النداء التي للقريب مستعملاً إياها في نداء مرخم من باب ترطيب قلب المحبوبة، وفي ذلك إشارة لبيان مدي قربها من قلبه، وربما أراد بذلك استدراجها حيث رسم بعد ذلك منهجه في الحب من خلال جملة اسمية مؤكدة بإن سطر فيها حبيّه، انتقل بعد هذا الإجمال إلى تفصيل نوعيّ حبه، حيث بين أنه حبان قديم وجديد، ثم تسلل بعد هذا البيان إلى حوار أداره بينهما، وذاك حوار إلى المعركة الحربية أقرب منه إلى حوار هادئ يغلب فيه صاحب الحجة الأقوى والبيان الأعلى، لكن معركة ذي الرمة باتت سجالاً فلا غالب ولا مغلوب، حيث زعم الهوى القديم الانتصار والغلبة، لكن الهوى الجديد لم ينتظر إذ رد عليه في ثبات واستعلاء من خلال استعماله كلمة "أنا" التي تشي بكبرياء قائلها "أنا غالبه" وقد علق أبو داود بعد ذكر البيتين بخبر أبي العباس: وأخبرنا أبو العباس عليّ بن الأعرابي أنَّ ميَّة قالت اللَّهمَّ لا تقضِ بينهما.[2]

والذي يمعن النظر في البيتين السابقين يجد أن الهوى الجديد تفوق علي القديم من خلال عدة دلائل تتمثل فيما يأتي:

---

(١) الزهرة، ١/٤٤١.

(٢) السابق ذاته، الصفحة نفسها.

أولاً: عبر الشاعر عن حبه القديم من خلال وسمه بكلمة "القديم" دون سواها، في حين نوّع في تعبيراته عن الحب الجديد حيث وصفه تارة بالحب الذي شبت شبائبه، وبقوله: "قال الذي من بعده"، ويوحي التصوير الأول بمدي قوة هذا الحب ؛ لذا جعل صفةً من صفات الشباب نعتاً له، كما جعله بعد الحب القديم، وتلك لمحة تشي بأنه هو الأعلق بالنفس.

ثانياً : لم يجعل ذو الرمة الحوار المشرك حواراً متساوياً حيث مال للحب الثاني، إذ اكتفي بمقولة القديم: " غلبته" في تصوير غلبة القديم للجديد، بينما صور انتصار الجديد من خلال إجراء الكلام على لسانه بقوله : أنا غالبه" حيث استعمل ضمير المتكلم أنا الذي يحمل نوعاً من الافتخار والاستكبار.

ثالثاً : استعمل الشاعر الفعل الماضي غلب مع الحب القديم، واسم الفاعل " غالب" مع الحب الثاني ويلمح من ذلك غلبة الجديد على القديم من خلال الفائدة اللازمة من اسم الفاعل الذي يوحي بملازمة الصفة لصاحبها.

وهناك تجربة أخري درج فيها صاحبها أبو البرق[١] منزلة لم يشايع فيها أحد المذاهب السابقة، وقد جاء بيتاه تعليقاً على مذهبي أبي تمام وديك الجن كما سبق الحديث عنهما، حيث قال:

زادوا على المعنى فكلٌ محسنٌ ∴ والحق فيه مقالة لم يجهل

الحب للمحبوب ساعة وصله ∴ ما الحب فيه لآخر ولأول[٢]

---

(١) وقد ورد ذكر هذا الشاعر في عيون الأخبار، ٤١٨/١، وطبقات الشعراء لعبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) تحقق: عبد الستار أحمد فراج ،٢٩٥/١، الطبعة : الثالثة نشر: دار المعارف، القاهرة، وأبو البرق، هو: محمد بن عبد الله أبو البرق المدائني مولى خثعم بلغ سنا عالية يقال إنه تجاوز المائة كان متشيعاً. ينظر: الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى،٢٤٨/٣، دار النشر: دار إحياء التراث – بيروت ،١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) ديوان الصبابة، ٤. وقد ورد البيت الثاني دون الأول في كتاب الصناعتين، ٤١٩.

والناظر في البيتين يجد أبا البرق قد امتدح الفريقين السابقين من خلال اجتهادهما في ترويج كل واحد منهما لمذهبه مع الزيادة في المعني، ثم انتقل بعد ذلك لبيان مقالته في القضية التي اُختلف حولها مبرزاً موقفه حيث أعلن أنه ليس مع أحد من الفريقين السابقين، وإنما الشأن في أن الحب ساعة وصاله؛ فلا مفاضلة بين الحب الأول والحب الآخر إنما الشأن في لحظة وصال المحب محبوبته، وعلى هذا فإن صاحب التجربة السابقة يري الحب لحظة يجب اغتنامها بغض النظر عن كونه الأول أو الآخر، ومن هنا فإن صاحب هذه النظرية لا ينتمي للمذاهب السابقة فهو يبحث عن ساعة الوصال والمتعة ومن ثم يجب اغتنام تلك الساعة قبل فواتها، ونلحظ أن الشاعر لم يتعرض للحديث عن القلب ومدي انفعاله بأحد الحبين، وإنما كان معنياً بساعة الوصال ولم يقف عند غيرها، وكأني به يبحث عن المتعة دون سواها، فهو لا يريد أن يصبح أسيراً لحب واحد، وإنما يريد أن يكون طليقاً يقطف الزهرة وقت نضوجها، كما نلحظ أن الشاعر لم يعتمد على الحجة في ترسيخ وجهة نظره حيث إنه لم يعمد في بيتيه إلا إلى وصف حالته مع الحب سواء اختلف معه أحد أو اتفق، فقد جاد بالبيتين رداً على مجادلة بين أبي تمام وديك الجن، ولم يعن بنقض حججهما وإنما سلط الضوء على حاله مع الحب، كما نجده كرر كلمة الحب في البيت الثاني مرتين بواقع مرة في كل شطر، بالإضافة إلى ذكر كلمة المحبوب مضافة للحب الذي جعله صدراً للبيت الثاني في قوله: "الحب للمحبوب" وذاك تركيب يشي بأن الحب يذهب كاملاً للمحبوب دون نقصان منه، ثم ينتقل بعد ذلك لتحديد الزمن؛ والذي يتمثل في أنه ساعة الوصال، وترسم تلك الجملة مذهب الشاعر في الحب؛ والذي يختلف عن المذاهب السابقة.

وهكذا تعددت رؤى الشعراء ووجهات نظرهم حول الحب الأول والثاني، وقد اجتهد كل شاعر من الشعراء السابقين في الانتصاف لمذهبه، ولمّا لم يخل انتصاف كل شاعر من الحجة فلنا أن نعد ما سبق أشبه ما يكون بمعركة فكرية

حادة؛ ولذا كان لزاماً على كل شاعر أن يتسلح بأعتي الأسلحة الفكرية فكما لا ينبغي على المقاتل أن يدلج ساحة المعركة خالياً من سلاح يدفع به عن نفسه أولاً ثم يقاتل به عدوه، كذلك قدح كل شاعر زناد فكره من أجل تأكيد فكرته، وقد اتكأ بعض الشعراء على الحجة والبرهان تارة، بينما ركن البعض الآخر إلى التناص مع فكرة شاعر آخر غير أنه تناص مقلوب كما حدث بين أبى تمام وديك الجن.

وإذا كانت النماذج السابقة تقف حول تعلق المحب بالمحبوبة الأولي أو العكس أو التوسط بينهما؛ ومن ثم البحث عن حجة تؤيد وجهة نظر صاحبها، أو تعلق المحب بساعة الوصال دونما التفات للماضي أو الحاضر، وإنما هو يبحث عن ساعة اللذة، فإن جريراً له وجهة نظر تختلف عن ما سبق حيث جعل التنقل من حب لآخر سبباً في المشيب عندما قال:

أخالدَ! قد هويتُكِ بعد هندٍ ∴ فشيّبني الخوالدُ والهنودُ
هوىً بتهامةٍ، وهوىً بنجدٍ ∴ فتُبْليني التهائم والنُّجودُ[1]

وهكذا طاف بنا جرير نحو لون آخر للهوى مستعيناً بالحجة في إقناع المتلقي بوجهة نظره،التي لخصها صاحب كتاب الموشي الذي قال: "على أنه ليس التنقّل من حبيب أول إلى حبيب ثانٍ بحسن، وإنما الحب ما أقام عليه القلب، فلم يجد التخلّص منه إلى غيره"[2] فالشاعر يقر بأن له حبيبتين هند السابقة ثم خالد اللاحقة لها، و لعل هذا التتابع كان سبباً في لحوق المشيب به، وقد لجأ جرير إلى جمع الخوالد والهنود في المرة الثانية لذكرهما دلالة علي أن الواحدة منهن أضحت في مقام خوالد وهندات وإلا ما كان المشيب، ثم ينتقل الشاعر لبيان مكان

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء لمحمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: ٣٢٥هـ) تحقيق: كمال مصطفى،١٠٠، نشر: مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر- مطبعة الاعتماد، الطبعة: الثانية،١٣٧١ هـ- ١٩٥٣م. ينظر الزهرة،٤٤٣/١.مع تقديم البيت الثاني على الأول.

(٢) المرجع السابق الصفحة ذاتها.

هوي كل محبوبة منهن فقلبه معلق بين تهامة ونجد، ولعل هذا كان سبباً في البلاء الذي يحياه الآن، وقد تعامل جرير مع أماكن الهوى بالأسلوب نفسه الذي تعامل به مع محبوبتيه، حيث أفرد تهامة ونجداً في الشطر الأول، ثم جمعهما في الثاني، وإذا كانت الخوالد والهنود سبباً في المشيب فإن التهائم والنجود سبباً في بلائه.

وقد اتكأ جرير في بناء بيتيه على حرفين هما الدال والهاء، حيث كرر الدال ثماني مرات، في حين كرر الهاء سبع مرات، وصفات الدال، هي: الجهر، والشدة، والإصمات، والإخفاء، والقلقة، وتلك من صفات القوة، وأما الاستفال، والانفتاح فمن صفات الضعف، مما يعني أن الدال من الحروف القوية، بينما صفات الهاء، هي: الهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والإخفاء، وهذه صفات ضعيفة، ولها صفة واحدة من صفات القوة،وهي: الإصمات.(١) وعلى هذا فقد جمع الحرفان سبعاً من صفات الضعف، وستاً من صفات القوة، مما يعنى أن الهوى كان سبباً فى ضعفه ووهنه وإلا لما استعمل كلمتي المشيب والابتلا، ولذا فإن الابتلاء يعد سبباً من أسباب المشيب، والمشيب يسلم صاحبه للضعف.

ومن جهة أخري فإن من يمعن النظر في نموذج جرير يلحظ أنه قدم الحب الثاني على الأول مما يوحي بقربه إلى النفس في الوقت الحالي، يضاف لذلك نداؤه لها بحرف النداء الذي للقريب بطريقة الترخيم التي تحمل في طياتها ترقيقاً لقلب المحبوبة وإيناساً لها، كما تشي بمدى قربها من نفسه، وإن كانت القافية عاملاً مساعداً على التقديم لكنها لا تنهض لتكون السبب الرئيس في ذلك، فحبه لخالدة وإقامته على ذلك يعد سبباً في سرعة المشيب بالإضافة إلى أنه لم ينس هنداً وحبها الذي خامر قلبه، وقد اتسمت حجة جرير باستعانته بحجة تتعلق

(١) ينظر عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/ عبد العزيز أحمد علام،١٥٢/١٥٧، الطبعة الأولي١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

بحالته هو، ولم يعوّل على حجة من الحياة اليومية، أو بتجربة أخري. ونطوف حول تجربة جديدة لشاعر لم يفاضل بين القديم والجديد من الهوى وإنما فاضل بين ألوان النساء منتهياً إلى اللون الذي يهواه قلبه، حيث يقول صاحب كتاب الزهرة: وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر لإبراهيم بن العباس[1] في نحو ذلك:

بقلبِي عنْ هوَى البيضِ انصرافُ ∴ ويُعجبُني منَ السُّمرِ انعطافُ
فــإنْ أنصفنَ فـي ودِّي وإلاَّ ∴ فليسَ عليَّ مِنْ قلبي خلافُ[2]

من يمعن النظر في النموذج الذي بين أيدينا يجد إبراهيم بن العباس لم يتعرض للحب الأول أو الثاني، وإنما وقف عند حالة المحبوبة التي تعلق قلبه بها، ثم استعان بالحجة من أجل إقناع المستمع في السر الذي حدا به لأن يميل لصنف من النساء دون غيره، ثم علق التعلق على إنصافهن فيما يحب إذ لا خلاف على قلبه وما يهوى، ويلحظ أن الشاعر بدأ بيتيه ببيان حالة القلب من خلال استعماله الجار والمجرور من أجل إفادة الاختصاص، وفي ذلك إشارة إلى أن القلب هو مناط الهوى، وهو المحرك له، ثم ختمهما ببيانٍ سطّر فيه رؤية الآخرين لقلبه فلا أحد يختلف على تعلق قلبه بما أحب، وقد اتكأ الشاعر على حجة حسية تتعلق

---

(١) إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول، مولى يزيد بن المهلَّب بن أبي صُفْرة، أبو إسحاق الصُّوليّ البَغْداديُّ الأديب. [الوفاة: ٢٤١ – ٢٥٠ ه، أحد الشّعراء المشهورين والكُتّاب المذكورين. له ديوان مشهور؛ وكان جدّه صول المجوسيّ ملك جُرْجان، فأسلم على يد يزيد. سمع الصُّوليّ من عليّ بن موسى الرضا، رَوَى عَنْهُ: أبو العبّاس ثعلب، وغيره، وكان موصوفا بالبلاغة والبراعة والنَّظْم والشِّعْر، قال دِعْبِل الخُزاعيّ: لو تكسّب إبراهيم بْن الْعَبَّاس بالشِّعْر لَتَرَكَنَا فِي غير شيء. ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ١٠٧٨/٥، نشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

(٢) الزهرة، ٤٤٣.

بالمحبوبة فلم يعنّ بالنظر إلى اللون وإنما مآل تعلقه بالمرأة يرجع إلى ميلها وانعطافها، وكأني به لا يرضي بالنظرة، فهو يصبو إلى أبعد من ذلك. وقد كرر الشاعر حرف الفاء سبع مرات فضلاً عن إقامة بيتيه عليه فهو حرف الروي كما هو لائح، وحرف الفاء يحمل من الصفات ستاً، هي: الهمس،والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والذلاقة، والإخفاء، وكلها صفات ضعف؛ أي أن حرف الفاء لا يحمل من صفات القوة شيئاً، وعلى هذا فيوضع أمامه من صفات القوة صفراً، ولعل الضعف الثابت في حرف الفاء يمهد طريقاً للقول بأن الشاعر شديد التعلق بمحبوبته من شدة انعطافها وتلك الصفة تعجبه في صنف النساء، فتكون النتيجة بسبب شدة التعلق ضعف عام وتعلق في القلب. ومن جهة أخري دأب العديد من الشعراء على إظهار نوع من الحب يختلف عن الوجوه السابقة، يتجلي ذلك في استئثار المحب بحبيب واحد لا يجاوزه إلى غيره ويتمثل ذلك في حب الذات الإلهية، من ذلك قصة الفتي النحيف في الطواف " حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَمْرُوسٍ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ ، عَنْ أَبِي الْمِنْجَابِ قَالَ: رَأَيْتُ فِيَ الطَّوَافِ فَتًى نَحِيفَ الْجِسْمِ، بَيِّنَ الضَّعْفِ يَلُوذُ وَيَتَعَوَّذُ ، وَيَقُولُ:

وَدِدْتُ بِأَنَّ الْحُبَّ يُجْمَعُ كُلُّهُ ∴ وَيُقْذَفُ فِي قَلْبِي وَيَنْغَلِقُ الصَّدْرُ
فَلَا يَنْقَضِي مَا فِي فُؤَادِي مِنَ الْهَوَى ∴ وَمِنْ فَرَحِي بِالْحُبِّ أَوْ يَنْقَضِي الْعُمْرُ

فَقُلْتُ: يَا فَتَى، مَا لِهَذِهِ الْبَنِيَّةِ حُرْمَةٌ تَمْنَعُكَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؟ فَقَالَ: " بَلَى وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّ الْحُبَّ مَلَأَ قَلْبِي بِفَرَحِ التَّذَكُّرِ، فَفَاضَتِ الْفِكْرَةُ فِي سُرْعَةِ الْأَوْبَةِ إِلَى مَنْ لَا تَشِذُّ عَنْهُ مَعْرِفَةُ مَا بِي ، تَمَنَّيْتُ الْمُنَى ، وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي بِمَا بِقَلْبِي مِنْهُ مَا فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُلْكِ ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ فِي قَلْبِي عُمُرِي ، وَيَجْعَلَهُ ضَجِيعِي فِي قَبْرِي ، دَرَيْتُ بِهِ أَوْ لَمْ أَدْرِ ، هَذَا دُعَائِي أَوْ أَنْصَرِفُ مِنْ حَجِّي. ثُمَّ بَكَا ، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَلَّا يُسْتَجَابَ دُعَائِي ، وَلَهُ قَصَدْتُ ،

وَفِيهِ رَغِبْتُ فِيمَا يُعْطَى اللَّهُ سَائِرَ خَلْقِهِ «. ثُمَّ مَضَى»[1] وقد تعلق الفتي صاحب البيتين بلون من الحب يختلف عن سابقه، حيث قصر حب قلبه على الله عز وجل؛ لذا صدر تجربته بالإعلان عن رغبته الملحة بجمع الحب كله ومن ثم يُقذف به إلى قلبه، ثم يكون ردة الفعل منه بانغلاق صدره، وكأني به يقول لا يخرج ما دخل ولا يدخل غيره من الحب، ثم ينتقل لرسم حياته بعد ما سبق حيث يتمني ألا ينقضي ما في فؤاده من الهوى، وأن يظل كما دخل، ثم يعلن عن مدي سعادته بهذا اللون من الحب؛ لذا فهو بين خيارين بقاء الحب كما هو أو ينقضي العمر، والناظر في النموذج الذي بين أيدينا يجد ما يأتي:

أولاً : ركز الشاعر على الأفعال المضارعة، حيث استعمل خمسة أفعال جاء الأول والثاني مبنيين بما لم يُسم فاعله؛ وهما: يُجمع، ويُقذف وكلاهما ينصرف إلى الله عز وجل، بينما جاءت بقيتها بالبناء للفاعل، ينغلق الصدر، وينقضي ما في فؤادي، وينقضي العمر إذ تتعلق هذه الأفعال بالشاعر نفسه؛ لذا أرجعها إليه، أما سر إلحاح الشاعر على الأفعال المضارعة فيرجع إلي أن المضارع يفيد التجدد والحدوث، ومن المسلم به أن الإيمان يزيد وينقص، وكلما زاد الإيمان زاد تعلق العبد بربه، ومن هنا ركز على الأفعال المضارعة التي تشي بأن الفتى يتطلع إلي المزيد من حب الله عز وجل فليس الحب من وجهة نظره دفقة ملأت شغاف قلبه وإنما لسان حاله هل من مزيد؟ وهذا ما أفادته الأفعال المضارعة.

---

(١) اعتلال القلوب لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تحقيق: حمدي الدمرداش،٣٩١/٢، نشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة–الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

وينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ١٧٨،نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.وينظر: ديوان الصبابة،١١.

ثانياً: لم يلجأ الشاعر إلى استعمال الحجة في إقناع المستمع بحبه، وإنما استعان بوصف مشاعره الخاصة من خلال رسم حياته أثناء الحب وبعده.

ثالثاً: استعمل الشاعر كلمة يقذف مع القلب، والكلمتان تتمازجان وتتآلفان إذ القذف يحدث اضطراباً، وذلك أنسب للقلب فما سمي القلب قلباً إلا من تقلبه، ثم أردفه بعد ذلك بانغلاق الصدر حتى لا يخرج حبه هذا.

رابعاً: وقف الشاعر مع كلمة الحب دون تحديد لها وبغيته في ذلك ترجع إلى أنه أراد تصوير الحب في شكله الأسمى وهيئته العليا؛ لذا ذكره دون أي متعلقات.

خامساً: وردت كلمة الحب في بيتي الفتي مرتين؛ الأولي في الشطر الأول من البيت الأول، والثانية في الشطر الثاني من البيت الثاني، أما الأولي فقد ذكرها في مقام بيان نوع الحب الذي يريد جمعه في قلبه، وجاءت الأخرى للدلالة على مدى فرحه وسعادته به، وذلك التكرار يرسم أمرين هما: الأول يمثل مرحلة استجماع للحب، ثم يلي ذلك سعادة لا يضارعها سعادة. ومما يؤكد ذلك أن الشاعر ذكر الحب في مكان واحد من الشطرين على الرغم من اختلافهما، فالحب في الأول مذكور في النصف الثاني من مفاعيلن إحدى تفاعيل بحر الطويل، في حين جاء الحب في البيت الثاني مستوعباً الجزء الثاني نفسه من مفاعيلن تقريباً، وذلك ترتيب دقيق من الشاعر أشبه ما يكون منه بوضع كل كلمة في كفة من كفتي الميزان. وفي الختام يمكن القول: إن لكل محب تجربته الخاصة في الهوى، ومن هنا فليس لها قواعد ثابتة، ولا رأي مستقر على وجهة واحدة لا تحيد عنها، فهناك من سيظل حبه الأول هو الأغلى والأعلق في القلب، وهناك من يتمني أن يمحو اليوم الذي أحب فيه محبوبه الأول، وهناك من يحيا كل لحظة بلحظتها فتراه يقلب قلبه حيث مال.

الخاتمة

وبعد تلك التطوافة حول منازع الشعراء في الحب الأول والثاني، واجتهاد كل شاعر في البحث عن حجة يقوي بها مذهبه في الهوى من أجل إقناع المتلقي بما رامه من جهة، وتقوية مذهبه هو، يمكن القول:

أولاً : اعتمد أصحاب المذهب الأول على العديد من الحجج مثل:

١- تعلق القلب بالمنزل الأول.

٢- فراغ القلب.

٣- حُب الصبا.

٤- سبق المحبوبة في الوصول لقلب حبيبها.

ومن خلال النظر في الحجج السابقة يمكن القول إن اتكاء الشعراء على أمثال تلك الحجج لم يكن خبط عشواء، وإنما لكل حجة مكانة في نفس صاحبها من ناحية، وفي نفس المتلقي من ناحية أخري، وذلك بعد التطواف في كتب التاريخ والسير؛ ولذا يمكن إرجاع الحجة الأولي المتعلقة بالمنزل الأول إلي ما قاله النبي – صلي الله عليه وسلم– يوم الهجرة عن مكة حيث إنها مسكنه الأول، "قال ابن عباس: لما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة واختفى بالغار ثم خرج مهاجراً إلى المدينة، التفت إلى مكة ثم قال «إنك لأحبُّ البلاد إلى الله، وأحبُّ البلاد إليَّ، ولولا أنَّ قومك أخرجوني منك ما خرجت"[(١)] وتعد مقالة النبي هذه منهجاً يحتذي به في بيان مكانة المنزل الذي تربي فيه الإنسان، وإلى أي مدي يكون التعلق، وقديماً قال الأصمعي: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ؛ فَانْظُرْ كَيْفَ تَحَنُّنُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ، وَبُكَاؤُهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ

(١) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني،١٩٣/٣، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

زَمَانِهِ".[١] وعلى هذا فتحنن الرجل لمنزله يعد من الوفاء وإلا ما قال الذي قاله النبي عند الهجرة، وربما قال قائل إن هناك بوناً بين الوطن والمحبوبة فيُجاب عنه بما قاله النبي – صلى الله عليه وسلم – عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى يَذْكُرَ خَدِيجَةَ ، فَيُحْسِنُ عَلَيْهَا الثَّنَاءَ ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَأَدْرَكَتْنِي الْغَيْرَةُ فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا ، فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا ، فَغَضِبَ حَتَّى اهْتَزَّ مُقَدَّمُ شَعْرِهِ مِنَ الْغَضَبِ ، ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، وَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي وَكَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي مِنْ مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوْلَادَ مِنْهَا ، إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقُلْتُ: بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي لَا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا "[٢] ومن هنا يتبدي للمتلقي مآل علة تفضيل أبي تمام محبوبته الأولي، كما يترسخ في النفس الحجة التي اعتمد عليها في تقوية مذهبه في الحب. أما الحجة الثانية في تفضيل الحبيب الأول فتكمن في فراغ القلب، ويمكن القول إن تلك الحجة تأخذ بأهداب ما يفعله الآباء مع أبنائهم حيث تخلو قلوبهم وعقولهم ومن ثم ينقشون فيها كما ينقش الفنان على الحجر، وربما كان ذلك قريب الصلة بحديث النبي الذي رواه أبو هريرة قال، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ

---

(١) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،٢٠٨/٢، نشر:جمعية التربية الإسلامية (البحرين ، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي،٢١٩٣/٥، نشر: دار الوطن – الرياض / السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}"[١] ومن هنا فإن فراغ القلب يعد السبب في ميل ابن الطثرية إلى الحبيب الأول الذي هو أقرب بمن ينقش على حجر فيؤثر فيه تأثيراً لا ينفك عنه، كما يفعل الأب مع أبنائه في توجيه ملتهم. وأما الحجة الثالثة والتي تتمثل في حُب الصبا الذي ينشأ ويترعرع مع صاحبه كما يتنامى حب الصبي لأبويه فالأصل أن الابن كلما اشتد عوده قوي حبه لأبوبه، ومن هنا فإن هذا النوع من الحب من الممكن أن يسمي بالحب المتنامي مع الزمن، حيث يعد تعاقب الليل والنهار سبباً لقوة الحب واشتداد ترسيخه في النفس؛ ولذا فإن اتكاء الشاعر على حجة مثل هذه تشي بأن هذا الحب لا يجاوز صاحبه إلا بعد خروج الروح من الجسد. وتبقي بعد ذلك الحجة الأخيرة والتي تتمثل في سبق المحبوبة في الوصول لقلب حبيبها، فالسبق هو السر في تعلق المحب بمحبوبته، ومن ثم انغلاق القلب على الحب السابق دون غيره ، وتلك حجة تأخذ بأمشاج حديث النبي الذي قال فيه "سبقك بها عكاشة" فقد روي أَبَو هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[٢] فإذا كان السبق له دور في حرمان من يأتي متأخراً فلا غرو أن يتكأ

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،٩٤/٢، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. سورة الروم، آية"٣٠".

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، ٤١٣/١١، نشر: دار المعرفة – بيروت،١٣٧٩م.

الشاعر على حجة لها وجاهتها كهذه، وإلا لما نهي النبي – صلي الله عليه وسلم– عن بيع أحدنا على بيع أخيه، وكذلك الخطبة. وبعد الوقوف مع حجج الفريق الأول يمكن القول إن أصحاب هذا المذهب لجأوا إلى مجموعة من الحجج تنبع من أقاويل النبي تارة، ومن طبائع الفطرة أخري، وكأني بهم يريدون بهذه الحجج تقوية مذهبهم في الحب؛ لذا عمدوا إلى ما يجعل المتلقي أسيراً لحججهم.

ثانياً: ركن أصحاب المذهب الثاني إلى الحجج الآتية:

١– ميل الإنسان للمنزل الجديد.

٢– فضل النبي على سائر الأنبياء.

٣– ذهاب الشاب وبقاء المشيب.

وبالنظر للحجج السابقة يمكن القول إن الحجة الأولي تنبني على ما تميل إليه النفس، إذ النفس تطمح دائماً لكل ما هو مستحدث جديد، وعلى هذا فقد بني الشاعر قضيته على ما فُطر عليه الإنسان. وأما حجة فضل النبي على سائر الأنبياء على الرغم من تأخره فقد استوحي الشاعر حجته من قول النبي الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "[(١)] وقد جعل النبي قضية ختامه للأنبياء فضلاً اختصه الله به، كما جعل الله عز و جل تلك القضية من خصائصه التي اختص بها نبيه، قال تعالى: "وخاتَمَ النبيين"[(٢)] وقد مدح الله الختام في قوله:"خِتَامُهُ مِسْكٌ"[(٣)]. وبالنظر للحجة الأخيرة التي تقوم على

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،٣٧١/١، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم "٤٠".

(٣) سورة المطففين: آية رقم"٢٦".

تفضيل ما تراه العين على ما ولي ذهب، وهو المشيب الذي يحياه الإنسان، أما ما ولي وذهب وهو الشباب فلا ينبغي أن يتمسك به الإنسان، ونستطيع القول إن الحجة مُؤسسة على مذهب عقلي يقوم على قلب الصورة فلا أحد يفضل حياة المشيب وإن طالت على الشباب ولو قصر.

ثالثاً: جنح أصحاب المذهب الثالث إلى التوسط بين المذهبين السابقين، معتمدين في ذلك على الاجتهاد في محاولة المساواة بين حبيّه القديم والجديد، وذاك مذهب يمكن وسمه بالتوسط بين المذهبين، ويمكن إرجاع ذاك التصرف من الشاعر إلى مبدأ إسلامي ينبني على الوسطية في الأمور فلا إسراف ولا تقتير قال تعالى:" وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا"(١) وقد جعل الله التوسط في الإنفاق من صفات عباد الرحمن، وعلى هذا فقد أقام صاحب هذا المذهب فكرته على المساوة بين الحبين وعدم الميل لأحدهما على حساب الآخر مستلهماً الفكرة من مبدأ التوسط في الأمور.

وتبقى كلمة قبل وضع القلم تتمثل في أن لكل محب تجربته الخاصة في بحر الهوى؛ لذا ربما قدح صاحب الحجة زناد فكره في اقتناص الحجج من أجل الدفاع عنها، ومن هنا فليس لها قواعد ثابتة، ولا رأي مستقر على وجهة واحدة لا تحيد عنها فهناك من سيظل حبه الأول هو الأغلى والأعلق في القلب، بينما نري آخر يتمني أن يمحو اليوم الذي أحب فيه محبوبته الأولي، وعلى الجانب الآخر نجد من يحيا كل لحظة بلحظتها فتراه يميل حيث يميل قلبه.غير أن التعلق بالحب الأول والدفاع عنه يعد رمزاً للوفاء.

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"

(سورة هود، آية،٨٨)

---

(١) سورة الفرقان: آية رقم "٦٧"

فهرس المصادر والمراجع

١- أخبار أبي تمام،لأبي بكر محمد بن يحي الصولي، حققه علق عليه: خليل محمود عساكر وآخرون، قدم هذه الطبعة: د/ أحمد يوسف على، ط: الهيئة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨.

٢- اعتلال القلوب لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق: حمدي الدمرداش، نشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣- البخلاء، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق : أحمد العوامرى بك - علي الجارم بك، دار النشر: دار الكتب العلمية لبنان / بيروت - ١٤٢٢هـ.

٤- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٥- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٦- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٧- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة الأولى .١٩٦٥

٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩- الحب والجمال عند العرب، بقلم العلامة: أحمد تيمور باشا، ط: عيسي البابي الحلبي وشركاه،١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٠- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٩هـ/ ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الجيل لبنان/ بيروت، سنة النشر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١١- دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) تحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٢- ديوان ديك الجن الحمصي جمع وتحقيق: مظهر الحجي،٢٠٣، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٤.

١٣- ديوان الصبابة، لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (المتوفى: ٧٧٦هـ)، ط: دار الكتب المصرية.

١٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٥- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصرى القيرواني، تحقيق : أ. د / يوسف على طويل، الطبعة : الأولى نشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٧- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري (المتوفى: ٢٩٧هـ) حققه وقدم له وعلق عليه د/ إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٨- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناءوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٩- السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد المتوفى ٢١٣هـ ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، نشر دار الجيل بيروت ١٤١١هـ.

٢٠- شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام المدرس بمعهد اللغات الشرقية بجامعة لندن، ط:٣، دار المعارف.

٢١- شرح ديوان المتنبي لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) وفى أثناء متنه شرح الإمام العلامة الواحدى، تأليف الشيخ المعلم في المدرسة الكلية البرلينية: فريدرخ ديتريمني، طبع مدينة برلين المحروسة سنة ١٨٩١م.

٢٢- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله ابن عمر بن سليمان الدميجي، نشر: دار الوطن - الرياض / السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢٣- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٢٥- طبقات الشعراء لعبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) تحقق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة: الثالثة نشر: دار المعارف، القاهرة.

٢٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني(٣٩٠-٤٦٥هـ)،حققه، وفصله، وعلق حواشيه: الشيخ/ محمد محي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل بيروت.

٢٧- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/عبد العزيز أحمد علام، الطبعة الأولي١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٨- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر: دار المعرفة - بيروت،١٣٧٩م.

٣٠- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : ٢٨٥هـ) تحقق:محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣١- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ه، حققه وضبط نصه د: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، ط: دار الكتب العلمية بيروت،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٣- المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: جمعية التربية الإسلامية البحرين ، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصبهاني، ط: دار مكتبة الحياة بيروت.

٣٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧- المنصف للسارق والمسروق منه، للحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (المتوفى: ٣٩٣هـ)، حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس، نشر: جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

٣٨- الموشى = الظرف والظرفاء لمحمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: ٣٢٥هـ) تحقيق: كمال مصطفى، نشر: مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر- مطبعة الاعتماد، الطبعة: الثانية،١٣٧١هـ- ١٩٥٣م.

٣٩- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار النشر: دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٤٧٧٥
٢	المبحث الأول : شعراء فضلوا الحب الأول على الثاني	٤٧٨١
٣	المبحث الثاني : شعراء فضلوا الحب الثاني دون الأول	٤٧٩٣
٤	المبحث الثالث : شعراء ساووا بين الحبين مع عدم الانتصار لأحدهما	٤٨٠٣
٥	الخاتمة	٤٨١٤
٦	فهرس المصادر والمراجع	٤٨١٩
٧	فهرس الموضوعات	٤٨٢٥